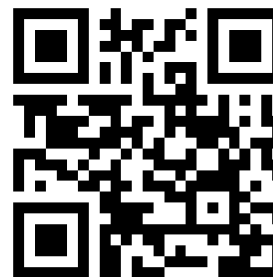


Journal of Arabic Research
 EISSN: 2664-5807, PISSN: 26645815
 Publisher: Allama Iqbal Open University,
 Islamabad
 Journal Website:
<https://ojs.aiou.edu.pk/index.php/jar>

Vol.08 Issue: 02 (July - Dec 2025)
 Date of Publication:
 HEC Category: Y



<https://ojs.aiou.edu.pk/index.php/jar>

Article	الحضور الباكستاني في كتاب على نهر كونهار للأديبة العمانية الدكتورة مريم البادي The Pakistani Presence in the Book On the Banks of the Kunhar River by the Omani Writer Dr. Mariam Al-Badi		
Authors & Affiliations	Prof. Dr. Wael Ali Al-Sayed Professor of Literature and Criticism, Faculty of Education, Ain Shams University, Egypt.		
Dates	Received: 11-09-2025 Accepted: 07-10-2025 Published: 30-10-2025		
Citation	الحضور الباكستاني في كتاب على نهر كونهار للأديبة العمانية الدكتورة مريم البادي [online] IRI - Islamic Research Index - Allama Iqbal Open University, Islamabad. Available at: <https://jar.aiou.edu.pk/?p=74722> [Accessed 25 December 2025].		
Copyright Information	الحضور الباكستاني في كتاب على نهر كونهار للأديبة العمانية الدكتورة مريم البادي Prof. Dr. Wael Ali Al-Sayed, is licensed under Attribution-ShareAlike 4.0 International		
Publisher Information	Department of Arabic, Faculty of Arabic & Islamic Studies, Allama Iqbal Open University, Islamabad		
Indexing & Abstracting Agencies			
IRI	Australian Islamic Library	HJRS	DRJI
			

ABSTRACT

Pakistan has a special allure. It entices its visitors to explore its cities and landscapes, to develop an affection for its people, to learn about their way of life, and to discover the landmarks of this beautiful country. A number of writers who journeyed to Pakistan undertook to document their experiences there and to write about its history and its religious, political, and social conditions.

Muhammad ibn Abdullah al-Lawati al-Tanji, better known as Ibn Battuta (703–779 AH / 1304–1368 CE), is regarded as one of the earliest figures to venture into the world of travel and exploration. He became an enduring symbol in both the Arab literary heritage and the global tradition of travel writing through the adventures and journeys he recorded in his famous book *Tuhfat al-Nuzzar fi Ghara'ib al-Amsar wa 'Aja'ib al-Asfar* (A Gift to Those Who Contemplate the Wonders of Cities and the Marvels of Travelling).

Ibn Battuta visited the Indian subcontinent, which today encompasses India, Pakistan, and Bangladesh. He referred to his visit, which took place in Muharram 734 AH, and mentioned his journey to the Indus Valley, known as Punjab (Panjab today). He also stated that he learned of the arrival of the ruler of Multan.

Dr. Maryam Al-Badi's *On the Banks of the Kunhar River* is one of a series of books that takes the reader on an extended journey through the pure land of Pakistan—a meaning associated with the name of the country—allowing the reader to experience its landscapes and features as though witnessing them firsthand.

The book *On the Banks of the Kunhar River* by the Omani writer Dr. Maryam Al-Badi was published by Ninawa House for Studies, Publishing and Distribution, Damascus, in 1446 AH / 2024 CE. The book consists of 127 pages and contains fifty-four chapters, or scenes, if one may call them so, in addition to an introduction which the author aptly titles “As If an Introduction.” In this opening section, the author explains that the image of Pakistan held by the wider world, particularly in Arab countries, is distorted.

Keywords: Allure, Landmarks, Exploration, Journey, Distorted.

لباكستان فتنة خاصة، فهي تغري زائريها بالتجول فيها وحب أهلها ومعرفة أسلوب حياتهم، والاطلاع على معالم هذا البلد الجميل، وقد طفق عدد من الكتاب الذين شدوا رحالهم إليها أن يسجلوا رحلتهم هناك، وأن يتحدثوا عن تاريخها وأحوالها الدينية والسياسية والاجتماعية.

ويعد محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، المعروف بابن بطوطة (703 - 779 هـ) الموافق (1304 - 1368 م) في القرن الرابع عشر الميلادي، أول شخصية خاضت عالم الرحلات والأسفار، حتى صار رمزاً خالداً في التراث العربي وأدب السفر العالمي، بما سجله من مغامرات ورحلات في كتابه " نُحْفة النُّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار".

وقد زار ابن بطوطة شبه القارة الهندية التي تشتمل اليوم على أقطار الهند وباكستان وبنجلاديش، وتحدث عن زيارته التي كانت في المحرم سنة 734 هـ، وذكر أنه زار وادي السند المعروف ببنج (البنجاب حالياً)، وأنه علم بخبر وصوله أمير مدينة ملتان¹.

وهناك كتب في العصر الحديث صورت الرحلة إلى باكستان خاصة، منها كتاب "رحلتي إلى الأقطار الإسلامية (باكستان أنموذجاً)" للشيخ محمد البشير الإبراهيمي (1885 - 1965 م): كتاب رائد للأديب والشيخ الجزائري الذي يعد أحد أكبر أعمدة الدعوة الإسلامية في الجزائر، (رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، والكتاب توثيق لرحلته إلى عدد من الأقطار الإسلامية، وباكستان تحديداً في الفترة بين (1952 - 1954م)، وقد ركّز فيه على الجوانب الثقافية والسياسية والاجتماعية لباكستان، مبرزاً الروابط الإسلامية المشتركة والهوية الثقافية للشعب الباكستاني.

وكذلك كتاب " تعال معي إلى باكستان " للكاتب المصري 1955، وقد زار المؤلف باكستان بعد استقلالها عن الهند واستعرض فيه كفاح الدولة الجديدة، وتطرق إلى قضية كشمير، والنهضة الاجتماعية والتعليمية هناك، فضلاً عن وضع اللغة العربية والعلاقات المصرية الباكستانية².

وبأني كتاب (على نهر كونها) واحداً من سلسلة الكتب التي تأخذ بك في رحلة طويلة إلى الأرض الطاهرة (باكستان) وهذا معنى اسمها، فتشعر وكأنك تراها رأي العين.

صدر كتاب (على نهر كونها) للأديبة العمانية د. مريم البادي عن دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، 1446 هـ / 2024م. وهو يقع في مائة وسبع وعشرين صفحة، ويضم أربعة وخمسين فصلاً أو مشهداً إن جاز التعبير سوى المقدمة التي سمتها الكاتبة (كأنه تقديم)، وفيها توضح الكاتبة أن صورة باكستان لدى العالم وفي البلدان العربية صورة مشوهة، فلا يعرف العالم عن الشعب الباكستاني غير أنه شعب فقير كادح يعمل في دول الخليج ليعود بقوت لأولاده ويعوضهم عن حياة القر والضنك، أو أنه شعب يرتكب الجرائم ويحكمون عليه أنه إرهابي بلغة العصر، تقول : " قال أحدهم: ألم تجدي غير باكستان؟! "

ماذا هناك في باكستان غير العوز والفقر والخطر؟ باكستان؟! أسئلة روافدها إما صورة العامل الباكستاني المسكين الذي عصرته شمس مسقط الحارقة، وأضناه تعب الحنين إلى أسرته البعيدة في ديرا غازي خان، أو صورة الباكستاني الذي اقترب جرماً فعلم على أمة بأكملها! صورة صنعتها أجنحة الإعلام التي بعين رضاها تصوّر الشعوب ملائكة، وبعين سخطها تقدّمهم شياطين إن شاءت... تمنح الشعوب صوراً وفق أمزجتها وأجندتها كما توزّع الحياة الحظوظ والأقدار بين البشر!³.

ومنذ البداية تعرض الكاتبة صورة ناصعة لباكستان شعباً ومكاناً وعادات وتقاليده، وتثني على مستقبلها في الزيارة الأولى لباكستان الدكتور عبد المجيد بغدادي الذي تحمل نفقات الإقامة هو وزميله الدكتور حارث سليم؛ لأنها تأخرت من الجامعة، وهذا يبرز وجهها مشرقاً للتعامل وللإنسان في باكستان، تقول: " وهذا موقف واحد من بين العديد من المواقف المشابهة، أذكره هنا لأعبر عن السخاء ودفء المعاملة التي وجدتها في باكستان. لم أستغرب المحبة العميقة التي يحملها الأساتذة العرب الذين زاروا باكستان في مؤتمرات سابقة والتقيتُ بهم في هذا المؤتمر، لهذا البلد الكريم وشعبه الطيب"⁴.

"تكشف القراءة أن كتاب «على نهر كونهار» يتجاوز حدود الرحلة السياحية إلى نص أدبي مشبع بالشعورية، إذ تتحول المشاهد الطبيعية والبشرية في باكستان إلى فضاء للتأمل والمقارنة واستدعاء الذاكرة. كما يبرز حضور الذات الكاتبة بوصفه عنصراً منظماً للرؤية السردية، حيث لا تنفصل معاينة الجبال والأنهار والقرى والبشر عن الانفعال الداخلي والتأويل الجمالي"⁵.

وينبغي أن نشير أن الكاتبة زارت باكستان في صيف 2024، وهدفها استكشاف بعض مناطق الشمال الباكستاني، وخاصة ناران وهونزا. تقول: " تهيأت لها بما صار متوقّفاً لديّ من معلومات عن البلد، عموماً، وإمكاناته السياحية، وأوضاعه الأمنية".

أول ما يصادفك من ملامح الحضور الباكستاني عنوان الكتاب " على نهر كونهار"

تقول إن الثلوج البيضاء تحوّلت إلى " شكل من أشكال الجمال، ومنه نهر كونهار الذي يقطع مسافة تزيد على مئة وخمسين كيلومتراً نحو الجنوب من خيبر بختونخوا عابراً مانسيرا ليصب في نهر جيلم!

يعرف نهر كونهار بصفاء مياهه وبتياراته الجارفة التي تخلق في المساءات الهادئة هديراً صاخباً جميلاً.... تقول إحدى قديسات رواية پولو كويلو «على نهر بييدرا هناك جلسْتُ فبكيت»: «من شأن المياه أن تخمد ما دَوّنته النيران»، وأظن لصوت الماء في نهر كونهار أن ما دَوّنته النيران في نفوس من عبروا! جلسات تأمل meditation هنا مناسبة جداً"⁶

ومما يلفت النظر في الكتاب صورة المجتمع الباكستاني من بشر وعادات وتقاليده وتراث، أن الكاتبة لم تلتق بأحد من أصحاب المناصب، ولا ذوي النفوذ، أو المسؤولين، ربما عرض لها موقف سياسي دون قصد، ولكن كان جُلّ همها أن تتوغل في أعماق المجتمع، وتتعرف على أسرار وخباياه، لذلك اجتازت الرحلة انطلاقاً من إسلام آباد لتصل إلى أقصى الشمال على الحدود الأفغانية حيث إقليم سوات أو ما سميت سويسرا باكستان وهونزا الإقليم الذي يعيش على المشمش وتعمر فيه البشر ولا تتوقف الولادات حتى عمر السبعين.

وتصف الكاتبة أولئك البشر الذين مرت بهم، فتذكر أنهم " بشر بسطاء من أبناء السبيل والصدقة و محرومون حتى من الحلم "، وتصف طفلاً فقيراً بأنه يشعر " بمرارة ليغبط الركاب على أنهم ينتقلون في سيارات مكيفة وفوق ذلك يسألونه عن تخفيض سلة المشمش".

أما " أخت عمر" فهو سائق السيارة من مكتب سفريات وهو دليل المسافرين أحياناً، وسائح مثلهم أحياناً أخرى"، يعلق على مخالفة المرور التي قيمتها 2500 روبية ، بأنها كانت في العام الماضي 750 روبية فقط،⁷ ولعل هذا يشير إلى معاناة الشعب بسبب ارتفاع الأسعار

أن تتجول برا في الشمال الباكستاني فهذا يعني أن تحسب بعض المال لمن يوقفك من الأطفال، أو من عمّال الطرق المتطوعين الذي سيخبرك أنه تحمل ورفاقه المشقة لإزاحة الصخور العنيدة، أو إذابة الثلوج أحياناً ليجعلوا الطريق سالكا أمامك.. لا تملك إلا أن تنقدهم بعض المال اعترافاً منك بأهمية دورهم في هذه الحياة!⁸

وقد صورت الكاتبة البيئة التي يعيش فيها الشعب الباكستاني من خلال معاناة الناس بسبب الثلوج التي تتراكم في الطرقات، تقول: " وكأنها تعترض على وجود الإنسان في المكان، أو تعانده لتعلمه الصلابة والقوة والصبر في مواجهة الزمن وأحداثه، ويطول توقف الطرق أحياناً لأيام طويلة يضطر الناس فيها إما لتغيير خططهم بالعودة من حيث أتوا، أو تغيير مساراتهم إن وجد مسار آخر بديل، وقد ينزع بعض الناس في شهور الثلج إلى مدن أخرى لأجل المدارس وظروف الحياة المختلفة، يخبرنا أخت عمر أن جلّ سكان ناران مثلاً ينزحون في الشتاء إلى مدن مجاورة أخرى؛ حيث تغلق في ناران كثير من الطرق بسبب الثلوج"⁹

وعندما تدخل الرحالة إلى مطعم لا تنسى أن تصف طرفاً من ألوان الطعام هناك، تقول :

" إلى مطعم وحيد مزدحم بينما تحيط به مطاعم شبه فارغة، أو على الأقل ليست في ازدحامه... فكرنا أن لا بد أن طعامه طيب، على مدخله لوحة كبيرة Punjab Tikka House - : مطعم پنجاب تكة هاؤس (Naran)، وفي الداخل تحمل لوحات صغيرة الاسم نفسه وتعليمات، وترحيباً بالضيوف... انتظرنا قليلاً ريثما يخلو مكان لنا، ثم أشار لنا نادل بأن نتوجه إلى طاولة فرغت للتو... طلبنا

شورية المأكولات البحرية، وسمك مشويا، وتكا دجاج... طلبت من النادل تقليل البهارات الحارة، وأكدت جاسكا الطلب نفسه، وقد أومأ لنا أنه بسرور استلم طلبنا لكن يبدو أنه فهم معنى عبارة «تقليل البهارات الحارة» عكس ما نقصده تمامًا؛ فقد جاء الطعام حارًا... حارًا... مع ذلك فالشورية لذيدة جدًا، وبسببها قررنا تناول العشاء في ذات المطعم في اليوم التالي.¹⁰

في المقطع السابق تشير الكاتبة إلى عادة من عادات الشعب الباكستاني وهي حب الأطعمة الحارة، وربما ذلك كان صعبا على الكاتبة، ولكنها أحبت طعم الشورية وطلبت المزيد.

وهنا تتوقف الكاتبة صاحبة الرحلة لنتنقد موقفا سياسيا أو من الممكن أن نسميه وطنيا، وهو موقف الجماهير من مقاطعة المنتجات التي تدعم الصهيونية، وتلاحظ أن الناس لا يعبنون بهذا الأمر ولا يلقون له بالا، تقول: "لا يبدو أن قبضة مقاطعة المنتجات الداعمة لإسرائيل شديدة الإحكام هنا... فعبوات الكولا والبيسي تسير بخفة في الأيدي وتلقفها الأفواه المنتظرة حول الطاولات بتوق بالغ، الأفواه المنتظرة حول الطاولات بتوق بالغ في الطائرة من مسقط إلى إسلام آباد لاحظت الأمر مختلفا حيث مرّ موظفو الضيافة مرارًا بين الركاب يستزيدونهم من المشروبات الغازية حتى يفسوا من نفاد زادهم منها قبيل بدء الهبوط فهل المقاطعة سلوك مُعدي! حين سألت الأخ اختر عمر عن الأمر قال لي: ماذا سيأكل ملايين الناس هنا لو قاطعوا؟! ¹¹

مشكلة أخرى يعاني منها الإنسان في باكستان ، أو على الأقل في المنطقة التي زارتها الكاتبة، وهي تكرار انقطاع الكهرباء؛ مما يصيب كثيرا من الأعمال والقطاعات بالشلل، تقول: "انطفأت الأنوار في المبنى أمامنا، وغط الشارع كاملاً في ظلام شديد، وخيم الصمت على البقعة التي اتخذناها مقاما إلى حين... وكأنّ هذا الانطفاء حدث معتاد، ثم عادت الأنوار بعد لحظات وكأن شيئاً لم يحدث... ظلت الحياة هادئة، ومستمرة ثم عاد الصّوء من جديد علمنا لاحقاً بعد عودتنا إلى الفندق أنّ الناس تستخدم هنا غالباً مولّدات تخزين الطاقة لمواجهة انقطاعات الكهرباء المتكررة بفعل أعمال توصيلات كهربائية وأعمال صيانة وفساد... قطاع الطاقة أحد أكثر القطاعات المثقلة بالديون في البلد، وعلى الشعب دفع الثمن ككثير من ثغرات السياسة الأخرى! ألفنا انقطاع الكهرباء خلال إقامتنا حتّى اضطررنا شحن جوالنا من السيارة في بعض الأحيان، أو التأكد من أنّ البور - بنك مشحون لنعتمد عليه في شحن هواتفنا.

ظاهرة أخرى لاحظتها الكاتبة في باكستان وهي انتشار المدلّكين الجوالين، وكتبت تحت عنوان (مساجون متجولون في الطرقات) : " يتجول المساجون حول الطريق بكسل وهم يحملون الزيت في علب معدنية متراسة يهزّونها فتصدر صوتاً يلفت المارة... عشر دقائق ب 100 روبية نصف ساعة ب 250 روبية ويجلس طالب الخدمة حيث يحدّد له المساج، ويُمسح جلوساً أحياناً، سألنا الرجل العجوز عن نساء

بمسجن فامندح قريته وطلب عنوان سكننا ليرسلها لنا متى ما نقرر كنثُ أتأمل التّجاعيد المحفورة بفعل السنين في وجهه كاملا، وملابسه التي أتعبها الزمن وحولها إلى ما يشبه أسمًا بالية على جسده نقدته روييات زهيدة ومضينا بعد أن أخبرناه أننا سنغادر ناران، حالا مع الأسف لتتخلّص من إلحاحه الشديد".¹²

واصلنا الطريق مدة عشر دقائق إلى الفندق. كان الجو باردًا، لكنه ليس فوق قدرتنا على التحمل... مع أني تركتُ جاكيتي في الفندق؛ لأعب من البرد عساه يبقى بردًا وسلاّمًا في جسدي يطفئ حرّ مسقط طيلة الشهور القادمة جلسنا في ردهة الفندق نخطط لبرنامج اليوم التالي،

ونتحدث مع أحد الموظفين الذي بدا في طيبة ونقاء أجدادنا الأولين ! ثم قطع هدوء وتركيز جلستنا هتاف تجمع شبّابي غاضب. ص 24

وهنا يتداخل الجانب الاجتماعي مع الجانب السياسي، لتطلعنا الكاتبة على مظهر من مظاهر الحياة السياسية وصراعاتها، وتلاحظ وجود مظاهرات ولافئات ترفع، وأصوات ترتفع هنا وهناك، فتكتب عن (السجين رقم 804) :

" قطع حديثنا هتاف تجمع غاضب من شباب يعبرون الطريق أمام الفندق، ميّزت أنّهم يقولون عمران خان، وكانوا يهتفون:

نه وه باغى نه غدار قیدی نمبر ۸۰۴

تیرا یار میرا یار قیدی نمبر ۸۰۴

(لا) هو متمرد ولا خائن»، السجين رقم 804...

صديقك وصديقي»، السجين رقم 804)

وبعد حوالي ساعة مرّ جمع آخر أقل عددًا من سابقه، لكن في

حماسته، وكان يهتف

سب کا جگری سب کا یار قیدی نمبر ۸۰۴

(الصديق الحميم للجميع هو السجين رقم 804)

كان حالهم يقول للسجين رقم 804 في ظلمات السجن من بعيد: نتذكرك في ختام هذا اليوم الحالك السواد الذي انفرط كخرزة من عقد العمر، ولو كنت يا عمران خارج السجن لربما كان حالنا أحسن من هذا الطريق المجهول الذي ننزل في لحظة إثر لحظة. لعمران خان شعبية واسعة وكلما اشتدّت قبضة

الأمن على مناصريه ازدادوا إصرارًا أنهم سينتصرون في النهاية تجد لافتات وضعت في بعض الطرقات، وفي المحلات، وأخرى نقشت على الحجارة التي بجانب الطريق. صورة عمران خان بجانب علم باكستان بلونيه الأبيض والأخضر وفي الطرقات ترى سيارات يزين زجاجها الخلفي اسم عمران خان، وصورته غالبًا، وأحيانًا تكتفي بكتابة الرقم: (804) الذي يمثل هوية عمران في السجن!

الشباب الباكستاني ابن حكم العسكر القدر الأبدى، الذي ترى مسحة أثره في كل وجه... الشباب الباكستاني رغم ما يملكه من قدرات خلّاقة قدره انسداد الأفق، ومرارة العيش وعطب الواقع، وتراكمات الخوف التي تمنع الإنسان من محاولة الخروج عن نسق القطيع، يحلم بعودة رئيس الوزراء الذي خلف القضبان الوحيد الذي يستطيع إحداث معجزة... رئيس الوزراء الذي أدين بعشرات التهم بعد أن أُودِعَ السجن، عشية أن قال للشيطان: لا ، رئيس الوزراء الذي فكّر في الشعب البائس المسكين، وأعاد شيئًا من مجد بلده وقوته بقراراته القاطعة. كم قبيح ومؤلم أن يدفع القهرُ الإنسانَ لتعليق أمله بإنسان مثله!¹³

ولم تكتفِ الكاتبة برصد الظاهرة ووصف المشهد، ولكنها راحت تعلق عليه وتحلله، مع إدانة للحكم العسكري من ناحية، وتأيد للسجين الشريف المضطهد — في نظرها، وتعاطف مع تلك الفئة العريضة من الشعب.

وهذا مشهد آخر يصور معاناة طائفة من الشعب الباكستاني الذين يتسولون من السائحين، تكتبه صاحبة الرحلة بعنوان (أطفال على قارعة الطريق)، تقول : "

"صار الأمر سهلاً على الأطفال الواقفين عن جوانب الطريق أن يمدُّوا أيديهم للظفر بروبيات السياح العابرين وكان سائقنا يعتمد التوقف بنا أحياناً حين يرى الأيدي مُدَّت مشيرة لنا بالتوقف. في الطريق، أوقفنا ثلاثة رجال، تكلم أحدهم مع السائق وبدوره ترجم لنا قوله إنهم تحملوا عبئاً كبيراً لتمهيد الطريق أمام عجلات سيارتنا وإزاحة الحجارة العصىّة، وسيعملون حتى المساء متطوعين للقيام بهذا العمل! في الحقيقة بدا لي الرجل المتحدث جلفاً وبشزر كان ينظر لامرأتين تبدوان متحرّرتين من طريقة لبسهنّ وجلوسهنّ حذو الرجل الغريب... قلنا للعم عبد الرشيد: سننقدهم ما تيسر عند العودة، وواصلنا الطريق!"¹⁴

ومن المواقف التي شكلت أزمة أو مشكلة للكاتبة حاجتها لشحن جوالها، وكان هذا شيئاً صعباً بل شبه مستحيل... " إذا كانت ناران، وسط المدينة، تعاني من انقطاع الكهرباء المتكرر، فكيف بهذه البقعة الأكثر نأياً وعزلة؟"¹⁵.

وقد ألحّت الكاتبة إلى مشكلة انقطاع الكهرباء في مواضع كثيرة، وكذلك نقص المياه وكأنها تعرض أزمة الإنسان هناك.

ومن النماذج التي عرضتها الكاتبة شخصية الحكّاء أو القاص ، وتصفه بقولها : " تركت الرفاق كلاً إلى حال سبيل وتوجّهت للجلوس فوق صخرة مطلة على البحيرة وقبالة الجبال المعجزة - جبال ملكا برت... وبعد لحظات جاء يتمشّي نحوي رجل خمسيني يتحدّث الأوردية، وقد بدا لي في هيئة شاعر ساخر قادم من حدقة حكايات قديمة... بعيدة! بزيه، ومشبته وتقسيمات وجهه وعينيه الغائرتين، وهيبته الأخيرة وهو بالشّال الأسود الذي يلتحفه تحدّث معي، وحين عرف أنني لا أتحدّث الأوردو أشار من بعيد إلى صبي فجاء مترجماً إلى الإنجليزية بأنّ الرّجل الحكواتي يمكنه قص حكاية بحيرة سيف الملوك علي مقابل بعض المال، واستدرك الصبي بأنه سيترجم لي ما يقول الرّجل مقابل مئتي روبية! سألته وكم يطلب الحكواتي من المال: قال: أيّ شيء! أيّ شيء!"¹⁶

الأساطير الباكستانية :

ولم يفت الكاتبة أن تعرض لنا نموذجاً من الأساطير الباكستانية، كشاهد على أن هذا الشعب يملك تراثاً شعبياً زاخراً بالعجائب والغرائب، ومن ذلك قصة (سيف الملوك وبدر الجمال) ، تقول الحكاية كما يرويها الحكواتي عبد القادر: " رأى سيف الملوك، ابن ملك مصر البعيدة، في منامه فتاةً فاتنة الجمال تجلس قريباً من بحيرة، وحين استيقظ وجد صورة الفتاة تستغرق كلّ تفكيره، ووجد السؤال «أين أجد الفتاة» يلح عليه ؟ أخبر سيف الملوك والده الملك بالأمر الذي صار يشغله وقال له بأنّه يريد الفتاة ليتزوجها، لكن الابن المدلل فوجئ بطلب الوالد منه أن يصرف اهتمامه عن أمر الفتاة؛ بحجة أنّها جنيّة، وأن السعي وراءها مشقة وهلاك!

أصر سيف الملوك أن يسعى وراء أمنيته بأن يلتقي الفتاة ويتزوجها، فخرج من مصر ساعياً وراءها، حتى التقى رجلاً ناسكاً في مكان قصي في طريق، فحكى له أمره فقال له الرّجل: إنّها جنية، مكافأ بعيد ولن تسعفك قدماك في بلوغه، زوّد الناسك سيف الملوك بقلنسوة ما أن يلبسها حتى يختفي عن الأنظار، وظهر إثر القلنسوة اثنان من كبار الجن في إمرته، فحكى لهما أمره، فطارا به إلى ناران قريباً من البحيرة، وحين رآها عرف أنّها التي كانت في حلمه، وأعلمه الجنيان أن الجنية تسكن جبل قاف بعيداً على حافة الدنيا، لكنّها تتردّد للاستحمام في هذه البحيرة.

نصح الجنيان سيف الملوك أن يُقيم قريباً من المكان عابداً زاهداً مدة أربعين يوماً، ثمّ أتت الجنية بعد ذلك لتتحمم في البحيرة برفقة سبع جنيات، اصطحب الجنيان سيف الملوك ليجلس قريباً منهن وكان متخفياً تحت قطنسوته ومن بعيد لمح الجنية وعلم أن هي من رآها في منامه كانت الجنيات يخلعن أجنحتهن ويتركنها خارج الماء قبل المضي بعيداً في داخل البحيرة، وهنا طلب سيف الملوك من الجنين أن يحضرا إليه جناحي الجنية لمنعها من العودة من حيث أتت أما رفيقاتها فغادرن المكان بعد أن لبسن أجنحتهن، وبقيت رفيقتهن

الثامنة وحيدة خلفهن، وهنا ذهب إليها سيف الملوك، وقصّ عليها حلمه، وأخبرها برغبته في الزواج منها، وعلم أن اسمها «بدر الجمال»، فتوسلت إليه أن يُعيد جناحيها كي لا يكتشف سيدها، «عبقري» الجنّ الذي سمح لها ورفيقاتها بالذهاب للاستحمام، أمرَ غياها.

ورغم توسلاتها ووعداها سيف الملوك بالتسلل والعودة إليه خفيةً بعد أن تقوم بتضليل العبقري بمكانها، لكن سيف الملوك أصر على إبقائها معه ولم يسمح لها باستعادة جناحيها، ومضى بها إلى كهف في ناران بعيداً عن البحيرة وقضى الزمن متخفياً خشية بطش سيدها «عبقري» الجنّ بهما. وحين علم «عبقري» الجنّ باختفاء «بدر الجمال» مضى يبحث عنها حيث آخر عهد لرفيقاتها بها عند البحيرة، ولما لم يجد لها أثراً شقّ طريقاً للماء ليفرغ البحيرة منه عله يجدها،

فسال الماء وانبتق النهر إلى ناران لكن لم يجد لـ«بدر الجمال» أي أثر، وظلّ العبقري خطراً يهدّد سيف الملوك وزوجته» اللذين عاشا متخفيين في كهف بعيد عن البحيرة، وهنا أبلغ الجنيان الرجل الناسك العابد (واهب القلنسوة بالأمر وحال سيف الملوك، فدعا الناسك الله أن يخلّص سيف الملوك من خطر «عبقري» الجنّ وبأسه، فمُسخ العبقري إثر الدعاء حجراً في سكردو...

وأضاف الحكواتي عبد القادر بلهجة شديدة اليقين والتسلیم وسترون أثره في سكردو إذا ما ذهبتم هناك...

صخور جبال سكردو سوداء كقلب الجنّي الشرير! ما أشقى ألا تملك اللغة وما أشقى أن يكون بينك وبين حكاية سيف الملوك وسيط كمترجمنا الذي أوقف الحكاء مرات ليتحقق من بعض التفاصيل فيما يبدو - وليؤكّد لنا أنّه أمين في وساطته، وكان صرفنا من الحكواتي بعض المال.

لا تساوي الألف روبية باكستانية شيئاً كبيراً لنا، لكن بالنسبة لمستوى معيشة الناس هنا فهي مبلغ يصنع فرقاً كبيراً! وحين يقول لكّ منهم مثل صاحبنا: « لكّ أنّ تدفع أي مبلغ» نظير ما يقدمه لك من خدمة، فإمّا يتوقع أن تكون سخياً معه!!¹⁷

ومن الشخصيات التي تعرفت عليها الكاتبة شخصية عبد الرشيد السائق الذي كان يعمل في دبي، تلخص حياة كثير من أبناء الشعب الباكستاني الكادح، الذي ترك وطنه باحثاً عن لقمة العيش في دول الخليج العربي، ولما حقق هدفه لم تغره الغربة ولم يشغله حب المال عن أهله وأولاده، ولم ينس أن له هدفاً يريد أن يحققه، فالمال كان وسيلة لحياة أكثر استقراراً في بلده.

وهناك نموذج آخر لفت نظر الكاتبة وهو تاجر القلانيس، الذي كان يأمل وجهها الغريب الذي هبط في مدينته الأسطورية، تقول: " وكان يجلس أمامنا رجلٌ ستيّني يتأمل وجوهنا الغريبة التي هبطت في مدينته النائية الأسطورية نظر إلى مبتسمًا كأنه يجاهد أن يعدل انحرافات الجمال ونواقصه في المرأة التي أمامه!

- ثم قال لي: تشبهين نساء الكيلاش ببشرك البضاء وشعرك المنسدل على جوانب وجهك، والقلنسوة التي ترتدينها

- قلت له : وماذا عن «قمر الجمال»؛ ألا أشبهها؟!

فضحك وضحكت تجاعيد عينيه التي تحكي قصص الكفاح والصبر التي يعيشها الإنسان في هذه البقعة البعيدة وأمثالها! إنه البائع في هذا المتجر، وها هو يمارس شكلاً من أشكال الدعاية للقلنسوة، ويتحدث العربية كما يتحدثها شاعر جاهلي! ¹⁸

لقد لاحظت الكاتبة أن ملاحظته تشي بعذابات السنين، ولاحظت أسلوبه ولغته وهو يتحدث اللغة العربية، وكأنه يقرأ من كتاب من كتب التراث للعرب الأوائل.

كما لاحظت أيضاً أن الشعب الباكستاني يسهل عليه القراءة في المصحف؛ لأن الحروف الأوردية تشبه العربية.

الطبيعة في باكستان :

وأما الملمح الأكثر أهمية للحضور الباكستاني فيظهر في الطبيعة الساحرة في باكستان، وأهم ما يلفت النظر فيها منظر الجبال الراقصات، تقول : "يخيل إلي أن الجبال تنادينا؛ فنحنُ السير نحوها، نقترّب، وتبتعد، وتتعاظم... تتناسل منها نتوءات بعيدة أخرى في كل مرة نقطع الدروب نحوها، ولا نصل... نسير في التاريخ فوق خطى العابرين، وكأني أتخفّف من مشاعر بعيدة هناك تسكنني كلما تقدّمتنا مسافة إلى الأمام أتذكّر ما يُشبه فوبيا القيادة في الجبال الذي دفعني للعودة مرةً من رحلة".

وتعود وتصف منظر الجبال في الشمال الباكستاني بأنه يبعث " في النفس هيبةً وجلالاً، وحولها تدور أساطير محلية كثيرة يتناقلها الناس في مرويّاتهم... كنتُ أفارحها بما عرفته من جبال في عُمان، وكنتُ أحدث نفسي: لا جبال في عُمان! لا جبال سبق أن رأيتُ في الطبيعة الجبال هنا سوداء وحمراء وبياض تكسوها الثلوج... جبال ممتدة باعثة على الخشوع والهيبة، تنظر إليها وترى كأنّها تلفّ الكون كله وتصدع أبداً نحو السماء، ويتضاءل كلّ شيء حولها الناس، البيوت، الشوارع وكل ما أضافه الإنسان من أسباب للبقاء والعيش"

وتشير الكاتبة إلى مشهد عبقرى وصفه القرآن الكريم وهي لم تلتفت إلى الآية الكريمة "﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَايِبُ سُودٌ﴾" سورة فاطر الآية 27 ، أن تشير الكاتبة إلى أن الجبال متعددة الألوان ومتجاورة بهذا الجمال، فهذه آية من آيات الله تدل على كمال قدرة الله تعالى وعظمته في تنوع مخلوقاته

" جبال تنظر إليها وترى كأنها تلف الكون كله وتصعد أبدا الى السماء ويتضاءل كل شيء حولها الناس والبيوت والشوارع"¹⁹ . .

(تسلق جبال " ملكا برت ")

انشرح صدر الحكّاء بعد انتهاء موضوع الحساب فأشار بيده إلى قمة جبل محيط قرب البحيرة بلفت نظرنا وكأنه يفتش عن حكاية أخرى في ذاكرته... قال لنا إنّ تلك جبال «ملكا برت» (بالأوردو: ملكه برت) Malika Parbat ثاني أكبر قمم باكستان علوا بعد كي تو (K2) التي توصف بأنها إحدى أعلى القمم الجبلية ارتفاعا في العالم، وهي جزء من سلسلة جبال الهمالايا. وتخفي جبال «ملكا برت» غموضاً منع أعتى متسلقي الجبال خبرة من بلوغ قمته.. قال لنا إنّ الحكومة خصصت قيمة جائزة ربما قال مئة مليون روبيّة باكستانية؟! لمن ينجح في بلوغ قمة «ملكة برت»، لكن لا أحد كسب التحدي إلى الآن،

وتعلق الكاتبة بسخرية " قلت: إذا كان الأمر مميتاً فهل هذه مسابقة خصصتها الحكومة لاختصار طريق الموت أمام الناس؟! "

" وزاد عبد القادر في الحكاية أنّ متسلقين «إنجليزين» تسلّقوا الجبال... أحدهما عاد ميتاً بعد أن عثروا على جثته في مكان قصي، والآخر لم يُعثَر على أثر له. وأضاف أنّ لا الناس، ولا حتى الطائرات التي تحلّق في الفضاء تستطيع النجاة من «موت سحر» جبال «ملكا برت»! قلنا له: هل الأمر يتعلّق بقوة الجاذبية في هذه الجبال؟ أجاب بإصرار كأنه اليقين : إنّما الجن"²⁰

ولم تكتف الكاتبة بما سمعته من الحكايات عبد القادر، ولكنها بحثت في أمر هذه المغامرة المهلكة، وعرفت أن هناك محاولات عديدة تمت لتسلق هذه الجبال، بعضها كانت ناجحة، وكثير منها قضى أصحابها نحبهم²¹.

وهناك ملمح آخر يتجلي في الكشف عن بعض المفردات الأوردية وهي دليل واضح على الحضور الباكستاني في الكتاب، مثلاً تقول " تناولت قطعة حلوى (جلاب جامن) وأخبرها موظف المقهى أن العالم يحتفل في 25 مايو باليوم العالمي لهذه الحلوى "

وهي حلوى تقليدية شهيرة في شبه القارة الهندية، تتكون من كرات عجينة تعتمد على الحليب، تُقلَى ثم تُغمر في الهيل أو ماء الورد.

خاتمة

تميزت رحلة مريم البادي بأنها اقتربت من المجتمع الباكستاني محاولة أن تلم بكل تفاصيله، وأن تتعرف على مشكلاته، وعرضت صورة هذا المجتمع من خلال النماذج البشرية التي التقت بها هناك، وتعرفت على الإنسان ببساطته وروحه، وعلى الطبيعة بجمالها وعبقريتها، من خلال زيارتها لمناطق نائية، رأت المكان بعبقريته، والجبال بتميزها عن جبال بلدها عُمان، والثلوج الكثيفة التي لا مثيل لها، وعادت وهي تشهد أنها كانت في الجنة.

الهوامش

- ¹ (تُحفة النُّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الشرق العربي، د ت، 2 / 309
- ² (تعال معي إلى باكستان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014.
- ³ (على نهر كونهار، د. مريم البادي ص 9
- ⁴ (المرجع السابق ص 10
- ⁵ (شعيرة الرحلة في كتاب على نهر كونهار، د. محمد الرحي، مقال منشور بمجلة البحث العربي، جامعة العلامة إقبال المفتوحة، إسلام آباد، 19 / 5 / 2026
- ⁶ (على نهر كونهار ص 20
- ⁷ (على نهر كونهار ص 13، 14
- ⁸ (المرجع السابق ص 17
- ⁹ (نفسه ر ص 16
- ¹⁰ (نفسه ص 20.
- ¹¹ (على نهر كونهار 20 ، 21.
- ¹² (المرجع السابق ص 24
- ¹³ (المرجع السابق 25
- ¹⁴ (نفسه ص 32
- ¹⁵ (نفسه ص 32
- ¹⁶ (نفسه ص 32
- ¹⁷ (نفسه ص 32
- ¹⁸ (نفسه ص 39، 40
- ¹⁹ (على نهر كونهار ص 17
- ²⁰ (المرجع السابق ص 36
- ²¹ (نفسه ص 37